مَمْلَكَةِ الأَنْبَاطِ بَيْنَ التَّصدّع الدَّاخِلِيِّ وَالضَّمِّ التَّدْرِيجِيِّ لِلْحُكْم الرُّومَانِيَّ (106–111م)

أ.م.د. عُثْمَان فَاضِل عَبَّاس / جَامِعَةُ كَرْكُوك / كُلِّيَّةُ الْآدَاب

The Nabataean Kingdom: Between Internal Division and Gradual Incorporation into Roman Rule(106-111 AD)

Asst. Prof. Dr. Othman Fadhel Abbas

Abstract : The research addresses a controversial issue related to the end of the Nabataean Kingdom and its integration into the Roman state in 106 AD. This study focuses on the period between 106-111 AD, which witnessed political and economic transformations that led to the end of Nabataean rule and the annexation of their possessions to the Roman borders. The research seeks to analyze the historical and archaeological narratives and evidence that dealt with this event, and focuses on a fundamental question: Did the political presence of the Nabataeans in the region end as a result of political disintegration that afflicted the kingdom and helped the Romans to direct a military campaign and subdue them, or were there gradual annexation procedures that enabled the Romans to achieve their goals?

المستخلص : يتناول البحث مسألة جدلية تتعلق بنهاية مملكة الأنباط واندماجها في الدولة الرومانية عام 106م ، إذ تركز هذه الدراسة على الحقبة الممتدة بين 106–111م، التي شهدت تحولات سياسية واقتصادية أدت إلى إنهاء الحكم النبطي وضم أملاكهم إلى الحدود الرومانية، ويسعى البحث إلى تحليل الروايات والأدلة التاريخية والأثرية التي تناولت هذا الحدث، ويركز على تساؤل جوهري: هل أنتهى الحضور السياسي للأنباط في المنطقة نتيجة تفكك سياسي أصاب المملكة وساعد الرومان على توجيه حملة عسكرية وإخضاعهم ، أم عبر إجراءات ضم تدريجية مكنت الرومان من تحقيق أهدافهم ؟.

Article history
Received: 4/3/ 2026
Accepted: /3/15 2026
Published : 30 /6/2026

تواريخ البحث
تاريخ الاستلام : 2026/3/4
تاريخ القبول: 2026/3/15
تاريخ النشر :30/ 6/ 2026

الكلمات المفتاحية :
الانباط – الرومان – رب إيل الثاني – الاخضاع العسكري – الضم التدريجي

Keywords :
Nabataeans – Romans – Rabbel II – Military subjugation – Gradual annexation

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author:
Othman Fadhel Abbas
Othman.fadhel@uokirkuk.edu.iq

DOI:
https://doi.org/10.61710/av3e5j39

المقدّمة

تُعد مملكة الأنباط واحدة من أبرز الممالك العربية التي كان لها تأثيرها السياسي والاقتصادي في الشرق الأدنى؛ إذ تمكن الأنباط من بناء كيان سياسي قوي قاعدته مدينة البتراء، وأمتد نفوذهم إلى جنوب الشام شمالاً وشمال الحجاز جنوباً، وهذا ما جعل الأنباط فاعلاً إقليمياً مؤثراً بسبب مجاورتهم للقوى الكبرى.

مع وصول الرومان إلى الشرق عام 64 ق.م واتساع سيطرتهم فيه منذ القرن الأول قبل الميلاد، إذ اتسمت العلاقة بين الطرفين بطابع مركب يجمع بين التنافس السياسي والتعاون الاقتصادي، إذ كان الرومان يسعون إلى حماية الطرق التجارية والسيطرة على الممالك الحدودية التي تمثل حلقة وصل بين مركز نفوذهم في الشام ومصادر التجارة في الجزيرة العربية، وقد حافظت مملكة الأنباط في ظل هذه الأهداف الرومانية على استقلالها مع تصاعد الضغط الروماني في المنطقة

يمثل انهيار مملكة الأنباط حدثاً كبيراً ؛ إذ لا تزال هذه الجدلية موضع خلاف بين الباحثين من حيث الظروف التي أدت إلى سيطرة الدولة الرومانية على أملاكهم وألحاقها بولاية سوريا؛ فقد انقسمت آراء المؤرخين بين رأيين الأول: يرى أنّ الرومان فرضوا سيطرتهم على المملكة النبطية بالقوة العسكرية عبر حملة حاسمة تمكنت من احتلالها، وهذا الأمر كان ضمن سياسية الإمبراطور تراجان التوسعية، أما الرأي الثاني: فيرى أنّ عملية السيطرة كانت بصورة سلمية بعد وفاة الملك رب إيل الثاني ؛ إذ عانت المملكة من ضعف سياسي وتراجع اقتصادي، ما سهل على الرومان تحقيق غايتهم، ونتيجة لانقسام الروايات بين هذين الرأيين ظهرت هذه الجدلية، مما يستدعي ذلك مراجعة شاملة لروايات المؤرخين القدامى والمحدثين ومقارنتها بالدلائل الأثرية والنقوش النبطية والصفائية من أجل الوصول إلى رأي متوازن يبين طبيعة العلاقة بين الأنباط والرومان، وتسعى الدراسة إلى إعادة قراءة انهيار مملكة الأنباط موازنة بين مفهومين (الإخضاع العسكريّ) الذي يشير إلى ضغط عسكري وتدخل سريع وحاسم مستغلاً ضعف السلطة، بعد وفاة الملك رب إيل الثاني، و(الضمّ التدريجيّ) أي السيطرة التي تتحقق من غير أي جهد عسكريّ كبير من خلال أضعاف البنى السّياسيّة والاقتصاديّة للأنباط ، وفي ضوء ما تقدّم يتطلب تفسير هذه الجدلية، تفكيك الروايات وإعادة قراءتها للإجابة عن التساؤل المهم كيف انهارت مملكة الأنباط وأنتهى حضورها السياسي في الشرق؟

أولاً / مملكة الأنباط في عهد رب إيل الثاني (70–106م)

مثّل عهد الملك رب إيل الثاني بداية النهاية للكيان السياسيّ النبطيّ ؛ فبعد وفاة الملك مالك الثاني عام 70م انتقل الحكم إلى ولده رب إيل الثاني، الذي كان صغيراً فتولت والدته "شقيلة" الوصايّة على العرش إبانّ المدة (70–75م) (الذيب، 2011، صفحة 51)، وكانت تفتقر إلى الخبرة السّياسيّة

في إدارة شؤون المملكة، ويتضح ذلك من نتائج سياستها في التعامل مع زعماء القبائل ولا سيّما في جنوب المملكة، فقد كان زوجها مالك الثاني أكثر ملوك الأنباط كفاءة في ضبط الأمور الداخليّة، إلا أنّ شقيلة خرجت عن سياسته ؛ إذ لم تعتمد على شيوخ القبائل الذين اختارهم مالك في إدارة المناطق المؤديّة إلى مدينة الحِجْر، وقد تسببت سياستها في حدوث الاضطرابات في جنوب المملكة ولا سيّما في الحِجْر، فحدث ما يعرف بتمرد دمسي في بداية عهد رب إيل الثاني، ولقي هذا التمرد تأييداً من القبائل النبطيّة الجنوبيّة، وليس من أهل الحِجْر فحسب (Graf, p. 253) ، وسبب هذا التمرّد هو تهميش الوريث الشرعيّ دمسي في تسلمه إدارة مدينة الحِجْر خلفاً لوالده؛ لكونه الابن الأكبر وتوليتها لأخيه الأصغر مالك ولكنّ ربّ إيل تمكّن من القضاء على هذا التمرّد (عقاب، 2015، صفحة 183) ومع ذلك بدأ النفوذ السياسيّ النبطيّ يتدهور في الجنوب (هيلي، 1993، صفحة 24).

بدأ الرومان يخططون لإنهاء مملكة الأنباط اقتصاديّاً وما يتبعه من انهيار سياسيّ ، وفي القرن الأول الميلاديّ وتحديداً بعد ضم ولاية اليهوديّة إلى أملاك الرومان عام 93م، دخل المخطط الرومانيّ المرحلة الفعليّة، التي تمثّلت في تحوّل مسارات الطرق التجاريّة المارة بالأنباط ؛ إذ أصبحت القوافل القادمة من جنوب الجزيرة العربيّة لا تسلك الطريق الذي يربطها بشمالها مروراً بديدان (العلا) والحِجْر، وصارت عوضاً عن ذلك تسلك الطريق الذي يصل إلى ديدان ومنها تتجه إلى موانئ البحر الأحمر لتنتقل عبرها التجارة إلى مصر (بو سنينة، 2005، صفحة 525)، وهكذا فقدت البتراء موقعها الحيويّ على هذا الطريق ، وكذلك الطريق الذي يمر بين العراق والشواطئ السوريّة؛ إذ اتجه إلى الشّمال فانتقلت الأهميّة من البتراء إلى تدمر (جبران و ال ثاني، 1998، صفحة 183) ، وتحولت التجارة البحريّة من موانئ البحر الأحمر الشّرقيّة إلى موانئه الغربيّة، بتدبير من الرومان (عباس ا.، 1987، صفحة 107) وأمام هذا التّضييق قام الملك رب إيل الثاني بخطوة كارثيّة على مملكته، وهي نقل مقر العاصمة من البتراء إلى بُصرى شمالاً، واتخاذها محلاً لإقامته، ويبدو أنّ ظهور تدمر بوصفها قوة اقتصاديّة في سوريا، وتحول طرق التجارة من العوامل المؤثرة في خطوته هذه (Hammond, 1956, p. 29) ؛ إذ إن القوافل التجاريّة القادمة من منطقة الخليج العربيّ، أخذت تتجه إلى دومة الجندل ثمّ إلى أمّ الجمال ثمّ إلى بُصرى (بو سنينة، 2005، صفحة 525)، ومنها إلى دمشق، فحمص ثمّ حلب إلى موانئ البحر المتوسط (شعث، 2004، صفحة 20) ، وبذلك فقدت أهمية المحطتين الرَّئيستين عند الأنباط، وهما الحِجْر والبتراء، فضلاً عن فقدان دور الأنباط التجاري في مسيرة هذه القوافل ، ويرى أحد المؤرخين أنّ انتقال العاصمة من البتراء إلى بُصرى مسألة طبيعية، وأنّها انعكاس لتوطين الأنباط في الشمال؛ نتيجة لفقدان وظيفة البتراء التجاريّة (بورسوك، 2006، صفحة 115).

ويبدو أنّ رب إيل قد أحسن الظّنّ بالرومان وسياستهم تجاه مملكته، حين نقل العاصمة إلى بُصرى، ودفعه هذا الظّنّ إلى حقبة من العلاقات السلميّة التي سادت بين الطرفين منذ عهد والده واستمرت في عهده (Graf, p. 253) ، ونعتقد أن إجراء رب إيل كان خطأً ستراتيجياً؛ إذ إن بنقل العاصمة شمالاً جعله ملاصقاً لحدود سوريا الرومانية بعد تركه موقع البتراء الحصين ، مخالفاً بذلك سياسة أسلافه في الحذر من الرومان؛ إذ كان الحارث الرابع (9ق.م–40م) قد استشعر الخطر الروماني على بلاده، ولذلك وجه اهتمامه نحو مدينة الحِجْر وحقق فيها إنجازات عمرانيّة وعسكريّة كبيرة لكي تكون بديلة للبتراء إذا ما تعرضت الأخيرة لهجوم ، ثم سار مالك الثاني على سياسة والده الحارث الرابع ولكن سوء سياسة زوجته شقيلة في التعامل مع القبائل الجنوبية، وتمرد دمسي؛ افقد المدينة حصانتها، التي كانت بعيدة عن متناول الرومان، إذا ما حاولوا غزو المملكة النبطية ولكن بالانتقال إلى بُصرى قد سهل على الرومان وسرع مهمة احتلال بلاده، وإنهاء مكانة الأنباط السياسية (Longden, 1965, p. 337).

وليس هنالك رأياً ثابتاً لدى المؤرخين في تقييم الوضع السّياسيّ للمملكة النبطيّة في عهد الملك رب إيل الثاني، فمنهم من رأى أنَّ عهده اتسم بالانحدار السياسيّ وفقدان الأنباط نفوذهم في المقاطعات الجنوبيّة حتى الشّماليّة، فضلاً عن تدهور الوجود النبطيّ في أدوم منذ عهد مالك الثاني، واستمر هذا الانحدار السّياسيّ في عهد رب إيل الثاني (Negev, 1977, p. 639) ، في حين يري رأيٌ أنّ عهده تميز بالسّلام والرخاء على وجه العموم، ووصلت المملكة إلى وضع أفضل من عهد والده مالك الثاني (Healy, 1993, p. 23) (Meshorer, 1975, p. 82) ؛ إذ توسعت شمالاً في بُصرى وشرقاً في النقب حتى نهاية القرن الأول الميلادي (Johnson, 1987, p. 13) ، ونعتقد أنّ عهد رب مثّل بداية التّدهور السّياسيّ لمملكة الأنباط بسبب سياسته الداخليّة في إقصاء القبائل النبطيّة سياسيّاً، ولا سيّما في الجنوب، ومن ثَمَّ فقدَ تأييد هذه القبائل سياسيًّاً وجعل المنطقة في حالة من الاضطرابات ، فضلاً عن نقل ثقل الأنباط السياسيّ شمالاً لـ (بُصرى)، وأنّ بادرة حسن الظّنّ بنوايا الرومان تجاهه تنم عن سياسة خاطئة لشخص لا يعي خطورة الموقف الذي وضع نفسه ومملكته فيه، وهذه الإجراءات تشير إلى أنّه لم يمتلك ولو جزءًا يسيراً من قدرات أسلافه السّياسيّة ، وعلى ما يبدو أنّه لم يكن بوسع مملكة الأنباط في أواخر عهد رب إيل الثاني أن تستمر أو تتوسّع أو تواصل التصديّ للدول الكبرى المتاخمة لها، ولم يكن بوسعها أن تسعى للوحدة مع جيرانها العرب لتكوين دولة كبرى على غرار الدولة الرومانيّة ؛ إذ إنّ الأنباط لم يمتلكوا مقومات بناء مثل هذه الدولة بشكل خاصّ، والعرب بشكل عام، إذ لم يكن بين تراثهم السياسيّ وإمكاناتهم الفعليّة ما يجعلهم قادرين على إقامة دولةٍ ذاتِ أُسُسٍ سياسيّةٍ أو عسكريّةٍ راسخةٍ وصحيحةٍ، وكان المتاحُ في ذلك الوقت هو ما تحقّق بالفعل؛ إذ نجح الأنباط، ولمدّةٍ من الزمن ولظروفٍ معيّنةٍ، في بناء دولةٍ ذاتِ سيادةٍ، ولكن حين

تغيّرت الأوضاع في المشرق كان من الطبيعيّ أن تزول دولتهم (السايح، 2000، الصفحات 84-85)، وبدأ الضعف يدبُّ في المملكة النبطيّة في أواخر عهد الملك رب إيل الثاني، ووجد الرومانُ في ذلك فرصة مناسبة لإتمام سيطرتهم على المنطقة وصادف ذلك حين اعتلاء الإمبراطور تراجان (98-117م) عرش روما الذي عرف بطموحاته التوسعيّة (Bennett, 1962, p. 243).

ثانياً / الاحتلال الروماني لمملكة الأنباط (106-111م)

بدأت روما تعد العدة لإنهاء مملكة الأنباط سياسيّاً، وضمّ أملاكها، ولم توضع خطة للسيطرة في عام 106م أي عام الاحتلال، وإنّما لجأ الرومان إلى إجراءات قبل سنوات، ونعتقد أنّ تراجان هو من عزم على ضمّ أملاك الأنباط لولاية سوريا، بدليل أنّه لم تكن هنالك أحداث سياسيّة أو أسباب عدائيّة تتطلب من الرومان التحرك عسكريّاً نحو المملكة النبطيّة والقضاء عليها، وهذا الأمر يشير إلى جملة من العوامل التي أدت إلى قيام الرومان باحتلال مملكة الأنباط وهي:

1.**السياسة الرومانيّة في الشرق:** تتمثل هذه السياسة في التوسع والسيطرة التامة على حوض البحر المتوسط، وجعل روما القوة الوحيدة في المنطقة، ومواجهة أيّ توسع فرثي محتمل (صافي، 2012، صفحة 43)؛ إذ بعد سيطرة روما على مصر وسوريا وفلسطين، بدأت تعمل على مهاجمة الفرثيين، وهنا أيقن الرومان ضرورة إخضاع الدول التي تفصلهم عن الفرثيين الذين حاولوا توسيع حدودهم نحو أملاك الرومان في الغرب (Bowersock, 1983, p. 84)، كما رأت روما أن سياتها تقتضي الحيلولة دون قيام أيّ كيان سياسيّ قويّ في الشرق، ولذلك خشيت روما من ازدياد نفوذ الأنباط في المنطقة، الذي من الممكن أن يكون خطراً على الوجود الرومانيّ في الشّرق، إذ أنّه كلما ازدادت الاضطرابات في الشرق، تضاعف أمل روما في أن تكون سيّدة الشّرق (Badian, 1970, p. 50).

2.**طموحات الإمبراطور تراجان:** كان تراجان على معرفةٍ جيدة في الشّرق ؛ إذ كان والده ماركوس البيوس ترايانوس حاكماً على سوريا (73-78م) في عهد الإمبراطور فسباسيان (69-79م)، و قد أدرك حينها أنّ مملكة الأنباط تمثل الجزء الحيوي لإتمام تأمين السيطرة التامة على سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر، وما شجعه على خطوة الإلحاق هو المستوى المتحضر لشعب الأنباط المتأثر بالثقافتين اليونانيّة والرومانيّة، ومعيشتهم المترفة، فضلا عن وجود ملك ضعيف يدير شؤون المملكة (Wilhelm, 1965, p. 29)، وأنّه أراد السير على سياسة أسلافه في توسيع حدود الإمبراطوريّة الرومانيّة في الشّرق ، إذ سيطر بومبيوس على سوريا عام 64 ق.م، وضم أغسطس ولاية يهودا إلى سوريا عام 6م، ومصر عام 30م، ولم يتبقَ خارج حدود الإمبراطوريّة الرومانيّة سوى الأقاليم الواقعة على طول حافة الصحراء من المساحة الممتدة عبر سيناء التي تطوق صحراء النقب منطقة شرق النبطيّة من حوران السوريّة حتى خليج العقبة، وهي مملكة الأنباط (بورسوك، 2006، صفحة 18) ، كذلك كان طموح تراجان أبعد السيطرة على مملكة الأنباط ؛ إذ إنّ أحكام السيطرة على هذا الموقع

يتناغم مع تطلعاته، في تخطي الفرات شرقاً؛ لمحاولة بلوغ شاطئ الفرات، وبذلك يدعم مواقعه الجنوبيّة حتّى لا يهاجمه الفرثيون أو القبائل العربية على حين غرة (Trimingham, 1979, p. 49) ، ولا يخفى المجد الشخصيّ لـ (تراجان) في سياسته إذ كان يرى نفسه خليفة للملك الكسندر الكبير (عجلوني، 2003، صفحة 2)؛ وأن الحاق مملكةِ الأنباطِ كان من شأنه أن يُحقق له مجداً عسكرياً (Kennedy, 1992, p. 484).

3.الأطماع الاقتصادية: تمتعت التجارة النبطيّة بمقومات مكنتها أن تنال أهمية قصوى في المنطقة؛ إذ توافرت مصادر المواد والسلع ووسائط النقل وطرق التجارة وأسواقها، وبهذه المقومات نقلت تجارة اليمن والهند والصين إلى مناطق شمال الجزيرة العربيّة ووصلت إلى الغرب (المحيسن، 2011، صفحة 130)، فكانت التجارة النبطيّة وعوائدها تمثل كنزاً ثميناً لطالما سعى الرومان إليه، ولهذا في عهد رب إيل الثاني وجدت روما الفرصة المناسبة للاستحواذ على مصادر ثروات الأنباط ،التي كانت تصل عبر طريق البحر الأحمر (جونز، 1987، صفحة 19) وذلك من خلال التخلص من الوسطاء الأنباط المسيطريّن على طرق التجارة الواصلة بين جنوب وشمال الجزيرة العربيّة ؛ إذ إنّ بسيطرة الرومان على هذه الطرق سوف يجعلون خطوط القوافل التجاريّة المؤديّة من السّاحل الغربيّ إلى البحر الأحمر وشمالاً إلى دمشق، ثمّ تدمر وموانئ سوريا وفلسطين تحت أيديهم (الأحمد، 1978، صفحة 182) (Graf, 1978, p. 7) ، وسعى الرومان إلى تأمين الطرق التجاريّة ولا سيّما الطرق الواقعة في مناطق الصراع الرومانيّ الفرثي ومنها الطريق الذي يسير عبر الخليج ويصل إلى الموانئ السوريّة، الذي أصبح في القرن الأول الميلادي غير آمن؛ بسبب تأزم العلاقات بين الطرفين، ولهذا فإنّ ضمّ أملاك الأنباط يزيد من أهمية طريق البحر الأحمر بوصفه طريقا تجاريا يعوض فيه الرومان الطرق البريّة في آسيا (صافي، 2012، الصفحات 43-44).

إنّ العامل الاقتصادي كان واضحاً في دواعي الإلحاق؛ إذ سبق عملية السيطرة الفعليّة على الطرق التجاريّة، التضيّيق الاقتصاديّ الذي مارسه الرومان على الأنباط للحدّ من احتكارهم التجاريّ، ويبدو أنّ الرومان رأوا انتفاء الحاجة من وظيفة الأنباط التجاريّة، وأنّه يمكنهم أن يحلوا محلهم، ويمارسوا الوظيفة التي أدوها؛ فعزموا على إنهاء كيانهم السياسيّ (هيلي، 1986، صفحة 137).

4.الصراع الروماني–الفرثي: كان الرومان يستعدّون لمواجهة الفرثيّين للحدّ من قوّتهم وكسر احتكارهم لتجارة الحرير؛ إذ كان جزءٌ كبيرٌ من طريق الحرير التجاريّ تحت سيطرتهم، ولم يتمكّن أباطرةُ روما، حتّى عهدِ تراجان، من إبعاد الفرثيّين عن هذا الاحتكار. ومن هنا شكّل الفرثيّون سدًّا منيعًا أمام إقامة علاقاتٍ تجاريّةٍ مباشرةٍ بين الصين والدولة الرومانيّة. غير أنّ تراجان، الذي عُرِفَ باهتمامه بالشرق، لم يتردّد في استعمال القوّة لتحقيق هذه الغاية وتخفيف السيطرة الفرثيّة على طريق الحرير، وذلك بمهاجمتهم في عقر دارهم (Rostovzeff, 1965, pp. 121–122) .

كانت خطة الرومان في مواجهة الفرثيين قائمة على إلحاق المناطق الواقعة خارج حدودهم وضمّها إليهم؛ من أجل الحفاظ على أمن خطوط الاتصال بين مصر وسوريا والعراق (Bowersock, 1983, p. 84) (مياس، 2009، صفحة 56). وكانت مملكة الأنباط الهدف الرئيس في عملية الإلحاق؛ لأنّها تشكل حداً أمام أيّ توسع فرثي نحو الغرب (جبران و ال ثاني، 1998، صفحة 183)، وإن وجودها كان محل شك ؛ لأنّ الأنباط سبق أن هادنوا الفرثيين عندما توسعوا في ولاية سوريا الرومانيّة بين عامي 40–39 ق.م في عهد مالك الأول (59–30 ق.م)، ولهذا فإن جولة الصراع الأخيرة مع الفرثيين تستلزم عدم التغاضي عن وجود دولة مستقلة يشك في ولائها (Bowersock, 1983, pp. 38–39) ، وبذلك تكون الحدود النبطيّة بعد إحكام السيطرة عليها، جبهة رومانية منيعة أمام الفرثيين؛ إذا ما حاولوا التوسع غرباً، وتكون ولاية سوريا في مأمن من هجماتهم.

5.غارات القبائل العربيّة: أصبحت غارات القبائل العربيّة في نهاية القرن الأول الميلادي، تشكل خطراً على التجارة الرومانية في الشرق؛ إذ إنّ هذه الغارات جعلت تجارة الرومان عرضة للخطر في حالة قيام أيّ حرب مع الفرثيين في الصحراء السوريّة (Graf, 1978, p. 7)، وكانت كثرة هذه الغارات مؤشراً واضحاً على عجز الدولة النبطيّة عن حماية حدودها وحدود الرومان (عباس ا.، 1987، صفحة 69) التي تمتد على طول الطرق التجاريّة من البحر الأحمر حتى سوريا (Lowler, 1970, p. 123) ، وهنا وجد الرومان أنّ ضمّ مملكة الأنباط من الممكن أن يسهل سيطرتهم على القبائل العربيّة واستعادة السلام على الجبهة الشرقيّة (Graf, 1978, pp. 6–7) ، فضلت روما حتّى عام 106م الدبلوماسيّة على أسلوب الإخضاع في سياستها مع الأنباط، وربّما يعود ذلك لما يفرضه الضمّ أو الاحتلال من التزامات وتعهدات عسكريّة ومالية عليهم؛ لذلك كان الوجود الرومانيّ في الشرق وجوداً سياديّاً أو السيطرة التي تعتمد تقليديّاً التعاون المعتدل، وكانت روما تراقب علاقات التعاون والتحالفات بين القوى لضمان سير مصالحها كما تريد (Badian, 1970, p. 49)، ولكن هذه السياسة تغيرت بعد ذلك للأسباب التي ذكرناها وبدأت روما تعمل على ضمّ المملكة النبطيّة إلى ممتلكاتها وإنهاء أيّ وجود سياسيّ للأنباط في المنطقة.

طويت صفحة العلاقات السلميّة بين الرومان والأنباط عام 106م ، حين أوعز تراجان الذي كان منشغلاً بحربه في البلقان في إقليم داشيا (بورسوك، 2006، صفحة 130) إلى حاكم سوريا كورنيليوس بالما (104–108م) بالاستيلاء على المملكة النبطيّة وضمّها إلى حدود الإمبراطوريّة الرومانيّة (الحلو، 1999، صفحة 313)، وتحويلها إلى ولاية رومانيّة عرفت باسم (المقاطعة أو الكورة العربيّة) عاصمتها بُصرى (الذيب، 2011، صفحة 52).

اختلفت آراء المؤرخين في الطريقة التي أخضع فيها الرومان المملكة النبطيّة، وظهرت جدليّة حول هذه المسألة؛ إذ ذُكر أنّ الضمّ حدث بهدوء، ولم يكن هنالك أيّ عمل عسكريّ من جانب الرومان

أو مقاومة نبطيّة، ورأي آخر يرى أنّ الرومان لم يتمكنوا من إخضاع مملكة الأنباط إلا بقوتهم العسكريّة وأنّهم واجهوا مقاومة نبطية في أثناء زحفهم على المدن النبطيّة، واحتاج الأمر سنوات عدّة، لإكمال عملية الاحتلال.

تشير معظم الآراء إلى أنّ عملية احتلال مملكة الأنباط نُفِّذت عقب وفاة الملك رب إيل الثاني سنة 106م (ستاركي، 1988، ص 258)، وأنّ اختيار الرومان لهذا التوقيت كان مخطَّطًا له مسبقًا؛ إذ كانت روما خلال المدة (101–107م) منخرطة في حربها في إقليم داسيا، الأمر الذي جعل فتح جبهة أخرى في الشرق بالغ الصعوبة .(Bowersock, 1983, p. 82) غير أنّ وفاة رب إيل الثاني أزالت هذا العائق، ولا سيما أنّ الوجود العسكري الروماني في سورية كان على أهبة الاستعداد للتحرك، فغدت وفاة الملك النبطي الفرصة الأنسب لتنفيذ خطة الإمبراطور تراجان.

تشير وثائق باباثا اليهودية – وهي أرشيف من الوثائق القانونية وعقود الملكية يعود لامرأة يهودية تُدعى باباثا عاشت في مملكة الأنباط – إلى وجود ابن للملك رب إيل الثاني يُدعى عبادة (هيلي، 1993، ص 24). وقد وردّ ذكره في نص إحدى الوثائق بالصيغة الآتية: "في حياة عبادة بن رب إيل، ملك الأنباط، الذي أحيا وأنقذ شعبه" (Yadin, 1962, p. 239). ويُفهم من هذا النّص أنّ عبادة كان خليفة والده على العرش النبطيّ، غير أنّ الإمبراطور تراجان – على ما يبدو – رفض الاعتراف به ملكًا بعد وفاة أبيه(Kammerer, 1929, p. 260) ، وربما يعود ذلك إلى أنّ الرومان لم يروا فيه خليفةً ينسجم مع مصالحهم السياسيّة والتجاريّة، ولا سيّما بعد أن بات واضحًا للقيادة الرومانيّة في سوريّة أنّ الأنباط لم يعودوا قادرين على حماية الطرق التجارية الواقعة ضمن نطاق سيطرتهم(Bowersock, 1984, p. 134/2) .

وتذهب بعض الآراء إلى أنّ رب إيل كان قد توصّل إلى اتفاق مع الرومان، يقضي بعدم مهاجمته في حياته، على أن تؤول السيطرة على مملكته إليهم بعد وفاته (بو سنينة، 2005، ص 520–521)، غير أنّ الرومان – بحسب هذا الرأي – تراجعوا عن التزامهم بالإبقاء على رب إيل على رأس مملكته إلى حين وفاته، ونقضوا الاتفاق لأسباب غير معروفة.(Miller, M. J., 1952, p. 211)، إلا أنّ هذا الرأي لا يبدو راجحًا؛ إذ يصعب تصوّر أن تُخضع إمبراطورية كبرى بحجم الإمبراطورية الرومانيّة قرارًا سياسيًّا بالغ الأهميّة، وما يترتب عليه من نتائج خطيرة على المنطقة، لمحض المصادفة أو للقدر.

والأقرب إلى المنطق التاريخيّ أنّ عملية احتلال مملكة الأنباط جاءت نتيجة جملة من التطورات الاستراتيجيّة، في مقدمتها ما يتصل بمستقبل الوجود الرومانيّ في الشّرق، ومواجهة الخطر الفرثي، واقتراب انتهاء الحرب في آسيا الصغرى بعد أن بسط تراجان سيطرته على عدد من أقاليمها، فضلًا عن المصالح الاقتصاديّة الرومانيّة التي أصبحت مهدَّدة بسبب غارات القبائل العربيّة، وتدهور

الأوضاع الداخليّة للمملكة النبطيّة عقب تمرّد دمسي[1]، ولهذا نرى أنّ الغزو الرومانيّ قد تزامن مع وفاة رب إيل الثاني، وأنّ التحرك العسكريّ الرومانيّ من مصر وسوريا نحو الأنباط حدث عام 105م، وهذا ما أربك الوضع في المملكة النبطيّة بوجود قوات رومانيّة تجتاح البلاد وعدم وجود ملك نبطي يدير مقاومة الغزاة ، أمّا الملك الجديد عبادة، فعلى ما يبدو أنّه لم يتمكن من استعادة زمام الأمور في مملكته بوجود الرومان.

ثالثاً / السيطرة العسكريّة الرومانيّة على مملكة الأنباط

إنّ نشاط كورنيليوس بالما حاكم سوريا في عملية الإخضاع يشير أنّ استعمال القوة العسكرية كان ضرورياً؛ إذ نُقل عددً من الفرق العسكريّة إلى المملكة النبطيّة تمهيداً للسيطرة عليها ؛ إذ حرك الرومان فرقتين عسكريتين من مصر إلى فلسطين عام 105م، وهما وحدة هيسبانورم الأولى وثيباريوم الأولى (Bowersock, 1983, p. 80) مع تعبئة فرق أخرى وهي فرقة فيراتا السادسة الموجودة بالقرب من مملكة الأنباط (Kennedy, 1980, p. 66) ، والفيلق سيرينايكا الثالث المتواجد في مصر ، ووحدة الاجيتلي من فلسطين ، ووحدة ثراكوم اكويتاتا الأوغسطية الأولى ، ووحدة ثراكوم ميلاريا الأولى (Bowersock, 1983, p. 81) فضلاً عن الفرقة القورنائية الثالثة التي كانت متواجدة في الجنوب في مكان قريب من البتراء ، كذلك أنّ الوحدة الاستكشافيّة السادسة والتي كانت تشكل جزءاً من الحاميّة الرومانيّة في سوريا كانت متواجدة بالقرب من حدود الأنباط (عبدالله، 2016، صفحة 171)، ويشير حجم الوجود العسكريّ بالقرب من الحدود النبطيّة إلى وجود نية لعمل عسكريّ، إذا اقتضى الأمر لإخضاع المملكة النبطيّة ، وأنّ الغزو الرومانيّ سار بمحورين نحو الأنباط، الأول: من مصر التي دخلت من الجنوب عبر سيناء والعقبة ، والثاني من سوريا بقيادة بالما (بورسوك، 2006، صفحة 130) ، وما يؤكد طرحنا في الحضور العسكريّ الرومانيّ المبكر بردية كرانيس في الفيوم بمصر، وهي رسالة بعثها أحد الجنود الرومان ويدعى أوليوس ابولتريوس إلى والده في مصر يخبره أنه يعمل مع زملائه في قطع الحجارة في المملكة النبطية وربما في أعمال تمهيد طريق تراجان وتاريخها يعود إلى 26/مارس/107م (Speidel, 1971, p. 111) ، ويحتمل أنّ هذه القوات استقرت هناك في السنة السابقة في أثناء الغزو، وعلى الطريقة الرومانيّة الفعالة بنحو

([1]) دمسي: هو ابن رب إيل حاكم مدينة الحِجْر أعلن تمرده على الملك رب إيل الثاني بتأييد من القبائل النبطية الجنوبية بسبب قيام والده بتعيين ابنه الأصغر مالك حاكماً على الحِجْر خلفاً له وذلك لإن منصب الاستريج (حاكم المدينة) كان وراثياً فدفع هذا الإجراء دمسي للتمرد على النظام الحاكم ؛ وأن تأييد القبائل العربية الجنوبية له بسبب حرمانها من المشاركة السياسية في السلطة بعد وفاة الملك مالك الثاني ووصاية زوجته شقيلة على العرش النبطي والتي خالفت سياسة زوجها في الاستعانة بزعماء القبائل في إدارة شؤون المملكة (عباس ع.، 2024، الصفحات 162–163).

نموذجيّ نقلت الوحدات العسكريّة على الفور إلى مملكة الأنباط، وشقت عبرها طريقاً مباشراً يصل سوريا بالبحر الأحمر، وجرى إعادة تنظيم البلاد بنحو إداري جديد (هيلند، 2010، صفحة 102).

وذكر المؤرخ ديوكاسيوس عن حملة بالما على الأنباط "سيطر بالما حاكم سوريا على جزءٍ من بلاد العرب بالقرب من البتراء وجعله خاضعاً للرومان" (ديوكاسيوس (ت230م)، 2017، صفحة 82)، أنّ كلمة (خاضع) الواردة في النص أعلاه غامضة لا توضح طبيعيّة الاستيلاء هل حدث بإخضاع عسكريّ (عنوة) أم ضمّ سلميّ (استسلام)، وما يزيد في غموض المسألة؛ عدم ذكر تفاصيل واضحة عن الحملة سواء أكان عند ديوكاسيوس أمّ غيره ، ولذلك سنعتمد أدلة أخرى لمعرفة طبيعة السيطرة الرومانيّة على مملكة الأنباط.

عُثر على أدلة في أثناء عمليات التنقيب والبحث الأثري في البتراء، تشير إلى تعرض معبد الإلهة العُزّى الذي كان قائماً وسط المدينة للحرق، ويؤرخ تاريخ هذا الحدث في السنوات الأخيرة من عهد رب إيل الثاني، وأنّه كان من دون سقف في السنوات التالية (Bowersock, 1983, p. 82)، ويُعتقد أن سبب احتراقه هو تجمع المقاتلين الأنباط فيه أثناء مواجهتهم للجيش الرومانيّ (Al-Otaibi, 2016, p. 152)، ولكن هنالك رأي آخر يرى أنّ سبب احتراقه ليس بسبب الهجوم الروماني، وإنّما بسبب غارات القبائل البدويّة المجاورة لمملكة الأنباط في عهد رب إيل الثاني، وهي الحرب التي عرفت باسم (حرب النبط) في النقوش النبطيّة (عقاب، 2014، صفحة 68)، وتشير حفريات المعبد الكبير ولا سيّما في المرحلة الرابعة (Phase VI) إلى وجود تدمير حصل إبّان السيطرة الرومانية؛ وعُثر في هذه الطبقة على عدد من كرات المنجنيق، وسهام، وبقايا قطع مدرعة تشير إلى وجود نشاط عسكريّ (Joukowsky, 1998, p. 1/ 400) ، ومن المواقع الأخرى التي عثر فيها آثاراً للتدمير في البتراء تل الزنطور، ومعبد الأسود المجنحة، ويرجح أنّها تعود إلى عهد الاحتلال الرومانيّ (Schmid, 1997, pp. 416–420) ، ويُعتقد أن سبب التدمير هو هزة أرضيّة ضربت المنطقة في المدة 113–114م (Russel, 1985, pp. 39–40)، ومع هذه القرائن إلا أنّها لم تكن كافيّة لتأكيد وجود مقاومة نبطيّة منظمة (Graf, 1978, p. 265).

وقد أشارت النقوش النبطيّة والصفائيّة إلى وجود عمل عسكري في مملكة الأنباط، ووقوع مواجهة بين الرومان والأنباط عام 106م ، إذ وردّ في نقش صفائي عُثر عليه في المنطقة الواقعة بين نهاية وادي الحشاد ووادي سلمى على بُعد 45كم إلى الشمال الشرقيّ من بلدة الصفاري جاء فيه (سنة حرب الأنباط) (عبادي، 1996، صفحة 240)، وطرح المؤرخون سياقات مختلفة عن هذا النقش؛ لفقدان ما يتمم سياق النّص؛ إذ تأتي العبارة في نهاية النقش قبل صيغ التوسل بالإلهة بعد سلسلة النسب والأفعال التي يقوم بها صاحب النقش (عقاب، 2015، صفحة 180)، إذ فُسر أن المقصود حرب الأنباط واليهود (عبادي، 1996، الصفحات 242–243)، ورأي آخر ذكر أنّها حرب الأنباط

والرومان (Littmann, 1904, p. 144) ، ورُجح أنّها حرب الأنباط مع القبائل الصفائيّة (عبادي، 1996، صفحة 202)، أو أنّها حرب بين الأنباط أنفسهم في إشارة إلى تمرد دمسي على الملك رب إيل الثاني (Winnett E. , 1973, p. 55) ، وعُدّت حرب داخليّة ويستند هذا الرأي إلى أن كاتب النّص من القبيلة التي كانت طرفاً في الحرب ومن ثَمّ نُرجح أن تكون حرب بين قبائل المجتمع النبطيّ (عقاب، 2015، صفحة 181) ، وذُكر أن النبطيّين قاوموا القوات الرومانيّة في أثناء اجْتياح المملكة ، وانتهت تلك المقاومة بسقوط الكيان السياسي للأنباط (Negev, 1988, p. 12) ويستند هذا الرأي إلى ما وردّ في النقش (ذكر حرب الأنباط) (Bowersock, 1971, p. 228) ويؤكد هذا الطرح أنّ الصفائيّين ساندوا الرومان حين تقلصت المملكة وأصبحت ولاية رومانيّة (ديسو، 1959، صفحة 103) ، ويعتقد أنّ هذه الحرب ربّما تعني أنّ بالما قد أخضع بعض القبائل في المنطقة أو وجه بعضها ضد الأنباط في عملية الإخضاع (Hammond, 1973, p. 56) ، وجاء في النقش (LP17) "س ن ت / م ر ق/ ن ب ط/ ج و ذ" أي "سنة مرور الأنباط بهذا الوادي" ويُرجح أن القصد منه الأنباط الذين هربوا من الرومان عبر الحفنه عام 106م (المعاني، 2010 صفحة 296).

يشير النقش (علولو 341) إلى حدث عسكريّ مرتقب في مملكة الأنباط وجاء فيه "آل اسد بن انعم بن أسد بن رب إيل ورجع من الصحراء سنة قاتل آل خيل آل نقد السلطان وترقب حرب الأنباط" (علولو، 1996، صفحة 127) ويظهر من النقش وجود تحالف قبليّ ضدّ السّلطان (الحاكم المحلي) ، وأنّ لفظة (ه س ل ط ن) أي (السّلطان) تمثل السّلطة الرومانيّة (Littmann, 1943, p. 142) ، وذكر أحد المؤرخين أنّ السلطان هو حاكم محليّ نبطيّ كان موجودا في منطقة النمارة جنوب سوريا قبل عام 106م أو ممثلاً للحكومة الرومانيّة (Clark, 1980, p. 100) وأمّا لفظة (ح ر ب ن ب ط)، فقصد بها سقوط مملكة الأنباط (Winnett & Harding, 1978, p. 17) ، أو أنّها إشارة إلى ثورة دمسي في الحِجْر (Clark, 1980, p. 91) ، أمّا مفردة (ترقب)، فإنّها تدلّ إلى حدث مهم ينتظره صاحب النقش ؛ إذ ذكر أنّ هنالك تحالفاً قبلياً صفائيّاً من جهة وبين سلطان روما من جهة أخرى، فهل ترقب حرب الأنباط مؤشِر على انخراط صاحب النقش في حرب، فضلاً عن أشتراك قبيلتيّ (خ ل و ق ت د) في حرب مع السّلطان؟ ولكن مضمون النّقش لا يوضّح ما هية هذه الحرب ولا هوية الطرف الآخر (المعاني، 2010 صفحة 295) ، والجدير بالذكر أنّ الأنباط والصفائيّين شكّلوا في مراحل معيّنة قوة عسكريّة مشتركة في مواجهة الأخطار الخارجيّة التي تهدّدهم (Parker, 1987, p. 118) وربّما يعني النّقش ترقُّب صاحبه تقدم الجيش النبطيّ الذي ستنضم إليه القبائل الصفائية لمواجهة الرومان عام 106م.

وفي نقش صفائيّ آخر ((س ن ت / و س ق / ب ن / ر م / ن ب ط)) أي السنة التي طرد فيها الرومان الأنباط (الروسان، 2009، صفحة 153) ، وإنّ كلمة (و س ق) تأتي فعلا ماضٍ مبنيا

للمجهول على وزن (سيق) أي جمعَ أو ضمَّ وبذلك يكون مفهوم النقش سنة ضمَّ الرومان للأنباط وليس سنة صراع الرومان مع الأنباط (الانصاري و ابو الحسن، 2002، صفحة 56) وهذا المعنى يتطابق مع النقش ((س ن ت / م ر د ت / ن ب ط / ع ل / ا ل / ر م)) الذي يعود إلى ما بعد عام 106م (Winnett & Harding, 1978, p. 211) ، وأن (ر م) الواردة في كلا النقشين يقصد بها الروم وليس قبيلة رم ؛ وذلك لأنّ حرف (الواو) لا يرد ضمن الأسماء في النقوش الصفائية ومثال على ذلك ((س ن ت / م ت / ع ب د ت)) أي سنة موت عبادة (عجلوني، 2003، صفحة 207) وبذلك يكتمل المفهوم بأنّ الأنباط تمردوا على الرومان وليس على قبيلة رم ؛ إذ ليس من المعقول أن يتمرد الأنباط وهم السّلطة الحاكمة على قبيلة ضمن حدودهم. وفي ضوء دراسة النّقوش نصل إلى نتيجة مفادها أنّ المملكة النبطيّة لم تواجه الرومان مواجهة شاملة ، وكانت المقاومة ضعيفة في مناطق متفرقة، فتمكن الرومان من القضاء عليها بسهولة، وسبب ذلك أنّ عبادة بن رب إيل كان صغيراً على مواجهة الرومان الذين لم يرضَوا بخلافته للعرش ، أما الأسرة الحاكمة لم تستوعب حجم الخطر القادم، ولم تمتلك الوقت الكافي لتنظيم القوات النبطيّة لمواجهة التوسع الرومانيّ ، وأن هذه المقاومة كانت شعبيّة نظمتها القبائل لمواجهة الرومان بعد اِضْطراب الوضع السياسيّ عقب وفاة الملك رب إيل الثاني، ولم يقوَ وريث العرش على المواجهة للحفاظ على مملكته، وهذا ما سهل على القوات الرومانيّة إخضاع المملكة النبطيّة لاسيّما وأن المقاومة لم تكن بالمستوى الذي يمكنها من مواجهة القوة، وما يعزز هذا الطرح أننا لا نجد ذكرا للمقاومة المنظمة في النّقوش النبطيّة والصفائيّة ، وربّما أظهر الأنباط تمردهم على السلطة الرومانيّة بعد مرحلة الإخضاع أي بعد عام 106م في محاولة للتخلص من الوجود الروماني ، ويبين أحد المؤرخين سبب غياب المقاومة النبطيّة بالقول "وكان الأنباط قد تحضروا فذهبت خشونة البداوة وَارْكنُوا إلى الزراعة ، وأووا إلى المنازل ، وَانْغمسُوا في الترف ، فلما أفضتْ الدولة الرومانية إلى الإمبراطور تراجان وأصبح قادراً على الاستِعانَة بالجند المصريّ عجز النبطيون عن الوقوف في وجهه فجرد عليهم حملة غلبتهم على مدينتهم عام 106م" (زيدان، 1922، صفحة 76)، وحقيقة هذا الطرح لا يمكن اِسْتبعادُهُ في وضع الأنباط العسكريّ في أثناء التوسع الرومانيّ ؛ إذ إنّ النشاط التجاريّ وما تبعه من مردود مالي كبير على الأنباط قد أفضى إلى تحويل المجتمع إلى كيان مترف، ومن مظاهره الاِبْتعَاد عن الحياة الأولى القائمة على البداوة والميل للثقافة الهلنستيّة التي اِنْتشَرتْ في المجتمعات الشرقيّة بعد الغزو اليوناني ومن ثَمَّ لم يكن لهذا المجتمع ميل إلى الحرب والمقاومة.

رابعاً / الضمّ الرومانيّ لمملكة الأنباط بين الغياب العسكريّ وانهيار البنية السياسيّة الداخليّة

إن عملية الضمّ من منظور السياسة الرومانيّة شكل من أشكال التوسع المستقبليّ لروما في الشرق، ولذلك هدفت إلى السّيطرة على الممالك التي تعاني من نزاعات داخلية مثل يهودا أو ممالك

اِنْتَفَى الحاجة من وجودها بِانْتهاءِ أهميتها السياسيّة في المنطقة مثل المملكة النبطية (Gruen, 1970, p. 1).

عبر تتبع طبيعة العلاقات الرومانيّة النبطيّة في السنوات التي سبقت الغزو الرومانيّ يتضح غياب أي مشاكل بين الطرفين بل يظهر تعاون بين رب إيل والرومان في تطوير بُصرى وجرش، وهذا يدل على حُسن العلاقة بينهما (Graf, 1978, p. 6) ويُعتقد أنّ التجربة التي طبقها الرومان على ولاية اليهوديّة هي نفسها طُبقت على مملكة الأنباط ؛ إذ بقيت الأجزاء الشّماليّة من حوران والطراخونية بيد أغريباس الثاني ملك اليهوديّة حتى وفاته عام 93م ، وفي العام نفسه ضمّ الرومان جميع المناطق التابعة له إلى أملاكهم في الشّرق (جونز، 1987، الصفحات 86–88)، ونجاح هذا الإجراء شجع الرّومان في الضغط على رب إيل الثاني وإجباره على عقد اتفاق مماثل بموجبه تُضم ممتلكاته لولاية سوريا بعد وفاته (عبدالله، 2016، صفحة 167) ولكن هذا الرأي يبقى مجرد نظرية وينقصها الإثبات التاريخي.

كان العمل العسكريّ حاضراً في عملية الضمّ وما يؤكده تحرك فرق عسكريّة نحو مملكة الأنباط ولكن وفاة الملك رب إيل عدل خطة الرومان بعدم بذل أي جهد عسكري ؛ إذ إنّ وفاة الملك النبطيّ أدت إلى خلق فوضى سياسيّة في المملكة، ومن مظاهرها عدم جلوس وريثه عبادة على العرش ، وأن الوجود العسكريّ الرومانيّ أدى إلى انعدم وجود رأي سياسيّ يدعو إلى مقاومة التوسع الرومانيّ في البلاد، مما ساعد الرومان على إنجاز مهمتهم وأحْكَام سيطرتهم على بُصرى والبتراء مع تأخر التقدم نحو الجنوب؛ بسبب موقف القبائل النبطيّة والصفائيّة الموحد في مواجهة الخطر الخارجيّ، وهذا ما يفسر سبب تأخر سيطرة الرومان على الجزء الجنوبيّ من المملكة والإعلان الرسمي لعملية الضمّ حتى عام 111م.

يميل أغلب المؤرخين في طروحاتهم إلى أنّ عملية السّيطرة على مملكة الأنباط تمت بشكل سلمي من غير أن تكون هنالك مقاومة لتوسعهم ، إذ إنّ الأدلة المتوفرة تشير إلى أن ضمّ الولاية العربيّة بعد أعوام طويلة من العلاقات الدبلوماسيّة والتجاريّة بين روما والبتراء جرى بسلاسة دون عنف (Mattews, 2011, p. 344) كما يرون أنّ عملية الضمّ لم تتضمن عملا عسكريّا وإنما تمت بشكل سلميّ (Graf, 1978, p. 6) ، ويرى أحد المؤرخين أنّه لم تكن هنالك حملة عسكريّة عام 106م أو مقاومة نبطيّة ويصف عملية الضم بِاخْتفَاءِ المملكة الهادئ (Miller F. , 2001, p. 414) ، أمّا بورسوك فقد ذكر أنّه جرى تبديل المملكة النبطيّة بالحكومة الرومانيّة عام 106م وأن المعنى الحرفيّ لضم تراجان للولاية العربيّة الجديدة هو الخضوع التام للنظام الرومانيّ الذي فرضته روما على منطقة حوض البحر المتوسط (Bowersock, 1983, p. 76).

وبناءً على ما تقدّم نطرح تساؤلا مهما، لماذا لم تكن هنالك مقاومة نبطيّة للتوسع الروماني؟ إذ إنّ الأدلة التاريخيّة تؤكد عدم وجود مقاومة فعليّة عرقلت التقدم الرومانيّ نحو بُصرى أو البتراء، وعلى ما يبدو أنّ قرار الضمّ لم يلق بأي حال من الأحوال وفقاً للمعطيات المتوفرة مقاومة لا من قبل الأسرة الحاكمة أو الشّعب النبطيّ وسبب هذا الإستسْلام والقبول بالأمر الواقع يصْعُب تحديده فهل كان ذلك نتيجة عدم ولاء الشّعب النبطي للأسرة الحاكمة بسبب ضعفها أم ميل الأنباط للرومان والتخوف من التوسع الفرثي في بلادهم ولا سيّما أن التنافس الفرثي – الرومانيّ للسّيطرة على المنطقة كان من العوامل المؤثرة وراء الضمّ الرومانيّ (الذيب، 2011، صفحة 53) ، وتؤكد الشواهد المرتبطة بعملية الضمّ عدم وجود عمل عسكريّ مع أننا لا نستعبد وقوع بعض المناوشات الضعيفة ، وأنّ التحرك العسكريّ الرومانيّ بنقل فرق عسكريّة من مصر واليهوديّة وسوريا وغزوها للمملكة من محورين هما الشمال والغرب وحضورها في مدن الأنباط كان كافياً لإقناع الأنباط بعدم جدوى المقاومة وأمل الانتصار على الرومان ولا سيّما أنّ وصول هذه الحشود الرومانيّة تزامن مع وفاة الملك رب إيل الثاني (بورسوك، 2006، صفحة 130) وبتعبير أدق يمكن القول: إنّ حجم القوات الرومانيّة قد أرعب الأنباط وقضى على فكرة المقاومة ، وما يؤكد ذلك أنّ المؤرخين الكلاسيكيين لا يتحدثون عن وجود مواجهات عسكريّة بين الأنباط والرومان ؛ إذ اعتادوا بكتاباتهم أن يصوروا اِنْتصارَات أباطرتهم والحروب التي خاضوها ويبالغون في رواياتهم أحياناً (السلامين، 2013، صفحة 144) ، وما ساهم في تقليل فرص الأنباط في المقاومة اعتماد الرومان أسلوب الضمّ التدريجيّ وتركيز هجومهم الأكبر على البتراء ؛ إذ كانوا يدركون أنّ الجزء الأصعب في عملية الضمّ هو اِقْتحَام البتراء والسيطرة عليها وأنّ مهاجمتها سيحرم الأنباط في بُصرى من الانتقال إليها ومقاومة الرومان من خلف تحصيناتها الطبيعيّة المنيعة وهذا ما يفسر وجود الفرقة القورنائيّة الثالثة بالقرب من البتراء قبل عملية الضمّ (Bowersock, 1983, p. 81) ، ومن الأسباب الأخرى التي أضعفت قدرة الأنباط على المقاومة هو نقل العاصمة إلى بُصرى ، إذ لم يجد الرومان صعوبة في أحكام السّيطرة عليها ولا سيّما أنّها على مقربة من ولاية سوريا ، ومن غير المستبعد أن تقدم القوات الرومانيّة نحوها كان متزامناً من توجه بالما نحو البتراء ويتضح ذلك في بردية كرانيس إذ ذكر صاحبها أنّه التحق بالكتيبة الرومانية المتوجهة نحو بُصرى التي تبعد عن البتراء مسيرة ثمانية ايام (الانصاري و ابو الحسن، 2002، صفحة 56) ، ولو فرضنا أن رب إيل لم ينقل عاصمته شمالاً إلى بُصرى والبقاء في البتراء لقدر للمملكة النبطية أن يستمر كيانها السياسي، فطبيعتها الصخرية كانت عاملاً في دفع الْأَخطَار عنها ويصعب على الجيوش النظامية التوغل فيها ، إذ كانت على جرف وعر من الحِجْر الرملي يمكن الوصول إِليه فقط عبر مسالك جبلية وممرّ ضيق حفرته مياه السيول المتدفقة من وادي موسى وبعيدة عن محاور الطرق الرئيسة المتمثلة بوادي عربة وطريق الملوك (Mckenzie, 1990, p. 11) ،

حتى إنّ المؤرخين الكلاسيكيين قد أشاروا إلى صعوبة إخضاع البتراء، حين وصفت البتراء بالأرض الصحراوية ويصعب الانتصار على أهلها بحرب تقليدية "يصعب هزيمة العرب الذين يقطنون هذه الأرض حربياً وظلوا دائماً غير مستعبدين...واسْتَمرُّوا في المحافظة على حريتهم دون مساس" (الصقلي (ت30ق.م)، 2017، الصفحات 57–58).

يمكن معرفة أسلوب السيطرة على مملكة الأنباط عبر المسكوكات الرومانيّة التذكاريّة التي سكت بعد عام 111م أي بعد خمسة أعوام من الغزو؛ إذ نقش عليها عبارة (Arabia Adquisito) أي (إلحاق أو ضمّ العربيّة) بدلاً من عبارة (Arabia Capta) أي (إخضاع العربية) التي ظهرت على المسكوكات الرومانيّة عقب إخضاع مصر واليهودية (Bowersock, 1971, p. 229) ، كما أن السكة التي حملت صورة الإمبراطور تراجان على الوجه محاطة باسْمُهُ وألقابه حملت على الظهر صورة لشخص ذي ملامح عربية وفي هامشها عبارة (ARAB ADQ) أي (ضمّ العربيّة) (ينظر الملحق 2) (السلامين، 2013، صفحة 144)، وفضلاً عن ذلك إنّ تراجان لم يتخذ لقب (Arabicu's) بعد ضمّ المملكة النبطيّة على الرّغم من اتخاذه لقب (Daciu's) أي داشتي حين سيطر على أقليم داشيا، ولقب (Phthicu's) أي فرثي حين هاجم الفرثيين وأخضع بعض مناطقهم وأسس منها ولايات رومانيّة جديدة (Bowersock, 1983, p. 81).

وهكذا نعتقد أنّ السيطرة على مملكة الأنباط تمت بشكل سلمي من غير اِشْتباكات كبيرة بين الطرفين ولاسيما وأن الدلائل المتعلقة بهذه المسألة هي الأوضح وما يؤكدها طبيعة الأوضاع السياسيّة الهادئة التي كانت عليها مملكة الأنباط بعد عملية الضمّ.

خامساً / الولايّة العربيّة الرومانيّة بين الدمج الإمبراطوريّ والمقاومة المحليّة (106–111م)

بعد سيطرة الرومان على المملكة النبطيّة أطلقوا عليها اِسم (Provincia Arabia) أي (الولاية العربيّة) وأخذُوا ينظمون أمورها الإدارية والعسكرية (بو سنينة، 2005، صفحة 526) وأصبحت بُصرى عاصمتها لموقعها الحيوي القريب من القوات الرومانية في سوريا ؛ فضلاً عن توفير الحماية للولايّة العربيّة من أيِّ اِعْتِداء فرثي بعد أن أصبحت قاعدة للفيلق الرومانيّ الثالث (Graf, 2001)، كما أنّ عدم اتّخَاذ البتراء عاصمة للولاية الجديدة؛ يعود لكونها نائية ومنعزلة ولا تصلح لتكون مركزاً للإدارة الرومانيّة (جونز، 1987، صفحة 119) ومع ذلك فقد اطلق عليها لقب (الْمدِينَة الأُمّ) وأصبحت مركزاً إدارياً للمنطقة الجنوبيّة حتّى إنّ قبر الحاكم الروماني فلورنتيوس (ت127م) عثر عليه في البتراء (عجلوني، 2003، صفحة 104).

أُعتمد عام 106م تاريخاً يبدأ منه تدوين الأحداث في الولايّة العربيّة ؛ إذ وردّ في أحد النّقوش عبارة (ك ه ف ر ك ي ه) أي عام الإيْبَارخيَّة وتعني (ولاية أو مقاطعة) (السلامين، 2017، صفحة 44) وعُين القائد كلاوديوس سيرفوس بوصفه أول حاكم على الولاية قس المدّة (107–115)

(Speidel, 1971, p. 11) ، وذكر المؤرخ إميانوس "وقد منحها الإمبراطور تراجانوس لقب الولايّة، وبعد أن عين حاكماً عليها أجبرها على الإذعان لقوانيننا" (اميانوس (ت391م)، 2017، صفحة 50)، ويبدو أنّ سياسة الرومان بعد الاِستيلَاء على المدن والولايات اسْتَهدفَتْ القضاء على أيِّ مظهر من مظاهر سياسة الدولة المنقرضة ؛ فحين ضمّت المملكة النبطيّة أُلغيت سكة رب إيل الثاني وضُربت سكة جديدة يظهر عليها بقايا الأحرف النبطيّة وحمل هذا الإصدار على الوجه صورة تراجان وعلى الظهر صورة لفتاة بجانب جمل (ينظر الملحق 3) (السلامين، 2013، الصفحات 50–51) ، وأعاد الرومان تنظيم مدينة البتراء على النسق الرومانيّ وشمل إنشاء شارع رئيس تحيط به الأعمِدَة من جانبيه ، فضلاً عن معالم التجميل الرومانية (هاردنج، 1965، صفحة 124)، وأعادوا تنظيم القوات العسكريّة النبطيّة بتحويل وحدات نبطيّة للخدمة في الجيش الرومانيّ، فحصل هؤلاء الجند على حق المواطنة الرومانيّة ، ويشير نقش نبطيّ عثر عليه في الحميمة إلى اِسْم ماركوس أولبيوس شعيدو الذي يبدو من اسْمُهُ نبطيّ الأصل كان يخدم في أحدى كتائب تراجان البتراويّة (Cohortes Petraeorum Ulpiae) (Hayajneh, 2001, pp. 173–175) (Graf, 1978, p. 23)

ذكر عدد من المؤرخين أنّه بعد وفاة رب إيل عام 106م أعقبه ملك يدعى مالك الثالث وحكم في المدة (101–106م) (ابو الحمام، 2009، صفحة 60) ونعتقد أنّها إن صحت هذه الفرضية ربّما كان حاكماً في أحدى المدن النبطيّة، وحين توفي رب إيل أعلن نفسه ملكاً ثم ضمت المملكة النبطيّة في عهده، ولكن هذا الطرح لا يمكن تأكيده لعدم وجود أدلة تدعمه ؛ والثابت أنّه بعد وفاة رب إيل الثاني كان ولي عهده عبادة وقبل أن يجلس على العرش انهارت المملكة النبطيّة ، ورأي آخر ذكر أنّ الرومان تركوا لشخص من الْأُسْرَة المالكة يدعى مالك الثالث منطقة في الجنوب من البحر الميت على طريق القوافل التجاريّة حاكماً عليها في المدة (106–126م) (Trimingham, 1979, p. 50) حتى هذا الرأي لا يمكن الوثوق به؛ لأنّه يتنافى مع سياسة الرومان التوسعيّة في القضاء على أي حضور سياسيّ نبطيّ في المنطقة ، كذلك لا تذكر وثائق ارشيف باباثا اليهودية شيئاً عن مالك الثالث سوى ما ذُكر عن وريث العريش عبادة.

لم يكن مالك الثالث شخصيّة خياليّة ونسج حولها المؤرخون الروايات وإنّما شخصيّة تذكرها الشواهد الأثريّة ونعتقد أنّه أحد أفراد الأُسْرَة المالكة ، إذ إنّ الظروف التي أحاطت بمملكة الأنباط في أثناء عملية الضمّ المتمثلة بوفاة الملك رب إيل وعدم رضا الرومان على اِعْتِلاء عبادة العرش النبطيّ وضعف المقاومة النبطيّة شجعت أحد أفراد الأُسرَة الحاكمة على تولي مقاليد الحكم في الأجزاء الجنوبيّة من المملكة، ويطرح أحد المؤرخين رأياً مفاده أنّ مالك الثالث هو خليفة رب إيل الثاني، وأنّه اتخذ من مدينة الحِجْر عاصمة له، ويستند في رأيه هذا على نقش نبطيّ عثر عليه في الحِجْر جاء فيه "هذا المعبد الذي صنعه شكوحو بن تورا لأعرا الذي في بُصرى إله رب إيل في نيسان في السنة

الأولى لمُلك مالك" (Starky, 1955, p. 18/104) ، ومن ثمَّ أن مسألة إسناد حكم بعض المدن لأحد أفراد الْأُسْرَة الحاكمة أمر قائم في الإدارة النبطيّة إذ في عهد الملك عبادة الثالث (30–9ق.م) مرت الحملة الرومانيّة على اليمن عام 24ق.م بأحد حكام الولايات النبطيّة الجنوبية وهو أحد أفراد الْأُسْرَة المالكة ويدعى الحارث (سترابون ت23م، 2017، صفحة 16/ 342)، فهذه المسألة يمكن الأخذ بها لاسيّما أنّ الرومان فرضوا سيطرتهم على بُصرى والبتراء وبقيت الحِجْر بعيدة عن متناولهم وهي أنسب موقع من الناحية العسكرية لمواجهة الرومان ولهذا نرى أن الحاكم بالما لم يرسل أيّ قوات عسكريّة عام 106م إلى القسم الجنوبيّ من مملكة الأنباط ، ويظن أنّه اصطدم مع الرومان ومع سقوط المدن النبطيّة الجنوبيّة بيد الرومان، وهذا ما يؤكده النّقش الصفائيّ الذي ذكر مالك الثالث في أحداث الضمّ الروماني "من وهب إيل بن حنين بن عبد بن غوث بن شريك بن سكران من آل قشم وشتي وشتى في الدار مقيماً في السنة التي أصاب فيها مالك ملك الأنباط ثلاثين مائة قتيل للرومان وطرد تمر للزعيم جد عويذ ويا أيّتُها اللات ويا شيع القوم الغنى والسلامة لمن يراقب الغنيمة..."، ويُعتقد أن هذا النقش يعود للمدة ما بين (90–115م) (صافي، 2012، صفحة 48) وفي ضوئه يتبين وجود مقاومة نبطيّة في الجنوب، وأن سلطة الرومان لم تمتد إليها بعد عام 106م، وهذا يشير إلى أنّ مالك الثالث سيطر على الحِجْر لمدة، وتزّعم المقاومة النبطيّة بدعم من القبائل النبطيّة والصفائيّة الرافضة للوجود الرومانيّ، وما يؤكد ذلك عدم وجود نشاط عسكريّ في الحِجْر، وتأخير الإعلان الرسميّ للإلحاق إلى عام 111م (Bowersock, 1983, p. 82) مما يعني أنّ الرومان لم يفرضوا سيطرتهم الكاملة على مملكة الأنباط إلا بعد هذا التاريخ.

ولا تذكر المصادر أي تفاصيل عن إخضاع مدينة الحِجْر ونهاية مالك الثالث وعلى ما يبدو أنّ الرومان ركزوا هجومهم في المدة (106–111م) على المدن الجنوبيّة وعلى رأسها الحِجْر إلى أن أنهوا المقاومة النبطيّة وأعْلنُوا رسميّاً ضم المملكة النبطيّة عام 111م، ولا نعرف شيئاً عن مصير مالك الثالث وربّما قتل في أثناء المقاومة أو هرب أثناء توسع الرومان جنوباً.

يعلل المؤرخون تأخر الرومان إعلان الضمّ الرسميّ للولايّة العربيّة إلى عام 111م إلى أسباب عدّة منها تفكير الرومان في فرض السيطرة على المنطقة، وضمان عدم تمرد الأنباط، ومحاولة التقرب إليهم وإقْناعهُمْ بالوضع الجديد (Bowersock, 1983, pp. 91–92) ، كذلك لم يرغب تراجان لفت الأنظار لعمله في الأراضي النبطيّة إلى أن تكتمل السيطرة التامة، ولكن نعتقد أن من أسباب تأخر إعلان الضمّ هو أن الوجود الرومانيّ لم يكن مستقراً ووجود مالك الثالث في الجنوب عرقل فرض السيطرة التامة على الأراضي النبطيّة وانشغالهم بحربه ، وفي المدة (106–111م) اِنشغل الرومان بتعزيز سلطتهم على المدن النبطيّة وأبْرَز شاهد على ذلك الطريق الكبير الذي يمتد جنوباً حتى خليج العقبة على طول خط الملك والذي عرف بِاسم طريق تراجان (Via Nova

(Longden, 1965, p. 111م Traiana) وخُلد بمعالم تشير إلى عملية الضمّ وتؤرخ جمعيها سنة (238)، ومنها النّقش الرومانيّ الذي يخلد أنجاز طريق تراجان، وجاء فيه "الإمبراطور قيصر...ترايانوس أوغسطس...عندما بلاد العرب تحولت إلى ولاية فتح ورصف طريقاً جديداً من حدود سوريا حتى البحر الأحمر من قبل الحاكم كلأوديوس سيفيروس" (Young, 2001, p. 108).

بعد تأسيس الولاية الجديدة أضحت الطرق التجاريّة المؤدية من سواحل البحر الأحمر إلى دمشق وتدمر وموانئ فلسطين وسوريا بيد الرومان (الأحمد، 1978، صفحة 182) ، واستمروا في الاعْتماد على البُنية التحتية التي ارْسَاهَا الأنباط لتسهيل مرور القوافل والمتمثلة بالمحطات التجاريّة التي أُقِيمتْ على طول الطرق ، وحلوا محلهم في حماية الخطوط التجاريّة ببناء أبْرَاج لمراقبة الطرق محمية بقوات رومانيّة واستمر هذا الأمر خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين (السلامين، 2013، صفحة 146).

إنّ سيطرة الرومان على مملكة الأنباط لا يعني أنهاء دور أهلها الاقتصادي أو اِنْهيار المجتمع بهجرة السكان خارج حدود الولايّة العربيّة بل نلاحظ استمرار النشاطات الاقتصادية المختلفة ويتضح ذلك في مرسوم الأسعار الذي أصدره الإمبراطور دقلديانوس (284–305م) بشأن تجارة البخور النبطي أو البتراوي (Petraaean Bdelium) (السلامين، 2013، صفحة 15) وهذا يعني أنّ تجارة الأنباط ظلت مستمرة وبشكل ثابت في المدّة اللاحقة لتأسيس الولاية العربية (النصرات، 2002، صفحة 183) ؛ إذ أشارت النقوش المكتشفة بمدينة عبدة في النقب إلى استمرار النشاط الزراعي فيها، فقد عثر على نقشين، الأول يعود إلى سنة 108م، والثاني إلى 126م، ويتحدث كلاهما عن أعمال بناء لعدد من المنشآت الزراعيّة كانت قائمة في عهد رب إيل الثاني واستمرت في السنوات التالية (Negev, 1967, p. 47)، وهذا مؤشر على عدم وجود أعمال عسكريّة واسعة أثناء عملية الضم.

أمّا عن سياسة الرومان تجَاه القبائل في الولاية العربية، فقد عمدوا إلى مبدأ الدبلوماسية في التعامل معهم بدلا من مبدأ القوة، إذ كانت القبائل القاطنة جنوب ولاية سوريا الرومانيّة التي تسمى في المصادر الكلاسيكيّة بـ(العرب الساراقينيون) أي (سكان الخيام) (اميانوس (ت391م)، 2017، صفحة 28) مصدر إزْعَاج وقلق للرومان لمهاجمتهم معسكراتهم وتحصيناتهم التي أنْشئت في المنطقة ، وبعد عملية الضمّ لم تطمئن هذه القبائل ولاسيما الصفائيّة للوجود الرومانيّ لشعورهم بأنّ الرومان قوى غريبة تسعى إلى إخضاعهم والحد من حركتهم، وهو ما يتعارض مع طبيعة حياتهم البدويّة الأنفة للخضوع ممّا دفع الرومان إلى استمالتهم بالهدايا والهبات تارة وتأليب القبائل بعضها على بعض لإضعافهم تارة أخرى (عقاب، 2015، صفحة 179)، كما عقدت معاهدات مع هذه القبائل من أجل مساعدتهم في ضمان الأمن ولاسيما في المقاطعات الجنوبيّة الحدوديّة والسيطرة على الاضطرابات التي تثيرها القبائل وعدم مهاجمة لخطوط القوافل (Graf, 1978, p. 5) ، إذ كانت غارات هذه

القبائل من أكبر المشكلات التي واجهت الرومان في ولاية سوريا وولاية العربيّة ، وأن الحافز الـذي دفع الرومان لِلِاعتماد على هذه القبائل هو عدم معرفتهم بالأوضاع العامة للإقليم الجنوبيّ من الولايـة العربية (مياس، 2009، صفحة 57).

وعلى الرّغم من أنّ الرومان قد احكموا سيطرتهم على الجبهة الغربية بسيطرتهم على المملكـة النبطية ، إلا أن هنالك مجموعة ملاحظات حول عملية الضمّ ومنها أنّ تحويل مملكة الأنباط إلى ولاية استلزم دمجها دمجاً مباشراً داخل السلطة الإمبراطورية التي شكّل العرب جزءاً منها واضحوا تابعين لهذه الولايات على مدى قرن حتى عام 212م حين منحهم الإمبراطور كراكلا (198–217م) حـقّ المواطنة فاندمجت مع العرب في النبطيّة مناطقها الحضريّة في النقب وعبر الأردن ووادي عربا ومن المحتمل شمال الحجاز ، كما أنّ ضمّ هذه المملكة استلزم اِحراز روما لأراض شاسـعة جديـدة مـن الصعب تحديد حدودها بدقة لكنها كانت كبيرة، وبذلك كان ضمّ الرومان لسيناء والنقب وعربا واضحاً، ولكن درجة التوسع الإقْليميّ في الحجاز لم تكن واضحة ، وأوجد استحداث الولايّة العربيّة تطـورات حدوديّة منها إقامة تحصينات قويّة على هذه الحدود تتمثل ببناء طريق تراجان من العقبة حتى بُصرى وعلى طوله سلسلة من القلاع والتحصينات وبناء خط آخر من التحصينات إلى الشرق من الطريـق الجديد ويمتد من عمان إلى معان ونتج عن هذه التحصينات مشاكل عدّة، ولكنّ الحقيقة التي اتضـحت كانت تحويل واستعمال فكرة التخوم إلى الحدود العربيّة بما تتضمنه من حدود ثابتة واضحة التميّيـز (شهيد، 2008، الصفحات 70–72)، كما أن لعملية الضمّ تبعات سلبية أثرت سياسيّاً وحضاريّاً على المنطقة ؛ إذ أخطأ تراجان عندما قضى على مملكة الأنباط واستبدلها بولاية رومانيّـة ظنًـا منـه أنّ بإمكانه نقل حدود الإمبراطوريّة إلى ما وراء الفرات، وقد شجعه على ذلك ارتباك الوضع السياسـيّ عند الفرثيين، وأمّا حضارياً، فقد قضى على فرصة قيام دولة عربيّة متحضرة، والذي جرى بعدها أن عادت المنطقة إلى حياة البداوة التي كانت عليها مسبقاً قبل استقرار الأنباط، وأصبحت منطقة نـزاع بين الرومان والفرثيين (دي لاسي، 1990، صفحة 97)، وليس هذا فحسب، بل أدى اِنْهيَـار مملكـة الأنباط التي مثلت درعاً أمام عرب شبه الجزيرة العربيّة مما وضع الرومان في مواجهة مباشرة مـع تلك القبائل، وقبل ذلك كان الأنباط على دراية ومعرفة بطبيعة المنطقة، وتدبير العلاقـات مـع هـذه القبائل، وبعد عام 106م كان على الدبلوماسيّة والسلاح الرومانيّين أن يتعاملا مـع عـالم الجزيـرة العربيّة الذي كان يعج بالقبائل المتصارعة فيما بينها (شهيد، 2008، صفحة 219) وتنشـط أحيانـاً بشن بغارات على الحدود الرومانيّة و خطوط تجارتها.

الخاتمة

أظهرت النتائج أنّ سقوط مملكة الأنباط لم يكن حدثاً مفاجئاً، بل كان حصيلة تراكمات سياسية واقتصادية شهدتها المملكة اتسمت بالتدرج في فقدان استقلالها السياسيّ والاقتصاديّ نتيجة للتغيرات التي طرأت على بنية الدولة منذ عهد الملك رب إيل الثاني حتى عام 106م ، وأن طبيعة العلاقة النبطيّة – الرومانيّة كانت أكثر تعقيداً مما أظهرته الروايات والشواهد الأثرية ؛ إذ شهدت نوعاً من التداخل بين الطرفين فالنفوذ الرومانيّ أخذ يتغلغل في المنطقة، وفي المقابل كان الأنباط يسعون للحفاظ على استقلالهم السياسيّ والحيلولة دون خضوع مملكتهم من فرض هيمنة النّسر الرومانيّ، وهذا يفسر عدم وجود روايات أو نقوش واضحة تشير إلى تدخل عسكري مباشر.

انتهج الرومان سياسة مزدوجة في تعاملهم مع مملكة الأنباط ، قامت على السيطرة الحازمة أي التدخل العسكريّ المحدود من جهة والهيمنة الهادئة أي الترغيب بالضمّ من جهة أخرى، وهذا ما مكنهم من تحقيق سيادة فعالة من غير الحاجة إلى عمل عسكريّ مباشر يؤدي إلى تدمير بُنية المملكة النبطيّة؛ إذ شهدت الأخيرة تحولات اقتصاديّة منها تغيير المسارات التجارية من البرّ إلى البحر وتحويل طرق التجارة البريّة مما أضعف مبرر وجودها الاقتصادي.

إنّ الاحتلال الرومانيّ لم يكن نتيجة حرب شاملة، بل جاء عبر تراكمات بدأت بتدهور الأوضاع السياسيّة الداخليّة النبطيّة منذ عهد رب إيل الثاني، واضطراب اقتصاديّ نتيجة تحول مسالك الطرق التجاريّة ونجم عن ذلك تصور رومانيّ يرى عدم وجود مبرر لبقاء المملكة النبطيّة في المنطقة.

إنّ نهاية الأنباط جاءت نتيجة مزيج من الضغط الرومانيّ غير المباشر واستغلال تردي الأوضاع الداخليّة وهذا ما يجعل الضمّ التدريجي التفسير الأقرب لنهاية الأنباط السياسيّ؛ إذ يمكن للسيطرة أن تتحقق بالمرونة والاستيعاب التدريجيّ، ولكن لا يعني ذلك أنّ الرومان لم يركنُوا في أثناء توسعهم في حدود الأنباط إلى عمل عسكريّ محدود، وهذا ما يفسر تأخر الإعلان الرسميّ للضمّ لسنة 111م.

كان من نتائج استحداث الولاية العربيّة أن عمل الرومان على ترتيب النظامين السياسيّ والاقتصاديّ للمنطقة بما يلائم مصالحهم التوسعيّة والاقتصاديّة في المنطقة؛ إذ أصبحوا على تماس مباشر مع القبائل العربيّة في الجنوب واحكموا سيطرتهم على الطرق التجاريّة مما مهد لاحقاً لمشروع طريق تراجان الجديد (106–110م).

الملاحق

ملحق (1)

عملة تذكارية أصدرها الإمبراطور تراجان عام 111م بعد ضم المملكة النبطية ونقش عليها عبارة (ضم العربية)

https://www.wildwinds.com/coins/sear5/s3118.html#RIC_0245

ملحق (2)

عملة فضية رومانية يظهر على الوجه الإمبراطور تراجان مع ألقابه وعلى الظهر لشخصية بملامح عربية بجوارها جمل مع عبارة على هامشه (ضم العربية) (السلامين، 2013، صفحة 366).

المراجع

Al-Otaibi, F. M. (2016). The Annexation of the Nabatean Kingdom in 106A.D New Epigraphic and Archaeological Consideration. *Mediterranean Archaeology and Archaeometry*(15), p. 152.

Badian, E. (1970). *A Logical Development: Imperialism in the Roman Republic.* U.S.A.

Bennett, C. (1962). The Nabateans in Petra. *Archaeology*(15), p. 233.

Bowersock, G. (1971). A Report on Arabia Provincia. *The Journal of Roman Studies*(61), p. 228.

Bowersock, G. (1983). *Roman Arabia.* U.S.A: Harvard University Press.

Bowersock, G. (1984). *Nabatean and Roman in Wadi Sirhan : Study in the History of Arabia Pre-Islamic Arabia.* Riyad, Saudi Arabia: King Suad University Press.

Clark, V. (1980). *A Study of New Safaitiac Inscriptions from Jordan.* Melbourne , Australia: University of Melbourne press.

Erich S Gruen. .(1970) *Imperialism in thr Roman Republic.* U.S.A: Holt Rinehart and Winston Press.

Graf, D. F. (1978). The Saracens and the Defence of the Arabian Frontier. *BASOR*(229), p. 7.
Graf, D. F. (2001). Nabataeans under Roman Rule (After AD 106). In K. D. Politis, *The World of the Nabataeans* (pp. 177-178). Stuttgart, Germany: Franz Steiner Verlag.
Graf, D. F. (n.d.). Nabatean Settlements and Roman Occupation in Arabia Petrea. *S.H.A*, p. 253.
Hammond, P. (1956). The Nabatean Bituman Industry at The Dead Sea. *B.A*(22), p. 29.
Hammond, P. (1973). *The Nabateans: Their History Culture and Archaology* . Gothenburg.
Hayajneh, H. (2001). Marcus Ulpius Su aidu in Einem Bruchstuck Einer Nabataischen Inschrif aus Sud-Jordanien. *ZDPV*(117), pp. 173-175.
Healy, J. (1993). *The Nabatean Tomb Inscriptions of Mad'in Salih.* Oxford, United Kingdom: Oxford University Press.
Johnson, D. (1987). Nabatean Trade : Intensification and Culture Change. *PHD Thesis*, 13. Utah, U.S.A: University of Utah.
Joukowsky, M. (1998). *Petra Great Temple: Brown University Excavations 1993-1997 Petra Explorations Fund.* Rhode Island, U.S.A: Brown University Press.
Kammerer, A. (1929). *Petra et la Nabatene Inscription from Wadi Musa.* Paris, France: Librairie Orientalise Paul Geuthner.
Kennedy, D. L. (1980). Legio VI Ferrata: The Annexation and Early Garrison of Arabia. *HSCP*(84), p. 66.
Kennedy, D. L. (1992). The Roman Frontier in Arabia. *JRA, 5*, p. 484.
Littmann, E. (1904). *Semitic Inscriptions.* New York, U.S.A: Century Co.
Littmann, E. (1943). *Safaitic Inscriptions.* Lieden, Netherlands: Brill Press.
Longden, R. P. (1965). Wars of Trajan. *C.A.H*, p. 337.
Lowler, J. (1970). *The Nabateans in Historical Perspectives.* Michigan, United States of America: Barker Book House.
Mattews, J. (2011). *The Roman Empire of Ammianus with A New Introduction.* Michigan, U.S.A: Michigan Classical Press.
Mckenzie, M. (1990). *The Architecture of Petra.* Oxford, United Kingdom: Oxford University Press.
Meshorer, Y. (1975). *Nabateans Coins.* Jerusalem, Isreal : The Hebrew University Press.
Miller, F. (2001). *The Roman in Near East 31 B.C-337 A.D.* London, United Kingdom.
Miller, M. J. (1952). *The Archaeological Surver of the Kerak Plateau-Aitanca.* E.O Press.
Negev, A. (1967). Obada Mampsis and Provincia Arabia. *IEJ*(17), p. 47.
Negev, A. (1977). The Nabatean and Provincia Arabia. *ANRW*(11), p. 639.
Negev, A. (1988). The Chronology of the Middle Nabatean Period. *P.E.Q*(101), p. 12.
Parker, S. (1987). The Roman Frontier in Central Jordan. *ASOR*(2), p. 118.
Rostovzeff, M. (1965). *The Sarmateae and Parthians.* Cambridge, United Kingdom.
Russel, K. W. (1985). The Earth quzke Chronologe of Palestine and North West Arabs from the 2ndth rought the mid-8Century. *BASOR*(260), pp. 39-40.
Schmid, S. (1997). Nabatean Fine Ware Pottery and the Destruction of Petra in the Late First and Early Secord Century A.D. *SHAJ*(6), pp. 416-420.
Speidel, M. (1971). Arabia's First Garrison. *ADAJ, 16*, p. 111.
Starky, J. (1955). The Nabatean : A History Sketch. *The Biblical Archaeologist*(18), p. 93.
Trimingham, J. (1979). *Christianity Among the Arabs in Pre-Islamic Timed.* London, United Kingdom: Longman Press.
Wilhelm, W. (1965). *Hadrian.* Cambridge.
Winnett, E. (1973). The Revolt of Damsi Safaitic and Nabatean Evidence. *Bulletin of the American School of Orintal Research*(211), p. 55.

Winnett, F. V., & Harding, G. L. (1978). *Inscriptions from fifty Safaitic Cairns in New Middle East Series.* Toronto: Toronto University Press.

Yadin, Y. (1962). Expedition D- the Cave of the Letters. *IEJ*(12), p. 239.

Young, G. K. (2001). *Rome's Eastern Trade : Intertional Commerce and Imperial Policy 31 B.C -30 A.D.* London, United Kingdom: Routledge Press.

أ هــ جونز. (1987). *مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية.* عمان، الاردن: دار الشروق.

ابراهيم السايح. (2000). *مدائن صالح من مملكة الانباط الى قبيلة الفقراء.* القاهرة، مصر: دار البستاني للنشر والتوزيع.

احسان عباس. (1987). *تاريخ دولة الانباط.* عمان، الاردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

احمد عجلوني. (2003). *حضارة الانباط من خلال نقوشهم.* عمان: بيت الانباط للنشر.

المنجي بو سنينة. (2005). *الكتاب المرجع في تاريخ الامة العربية.* تونس: المنطمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

أوليري دي لاسي. (1990). *جزيرة العرب قبل البعثة.* (موسى علي الغول، المترجمون) عمان، الاردن: منشورات وزارة الثقافة الاردنية.

جان ستاركي. (1988). الكتابات والنقوش النبطية وتاريخ سوريا الجنوبية وشمال الاردن. تأليف ج م دانتزر، *سوريا الجنوبية حوران : بحوث اثرية في العهدين الهيليني والروماني* (احمد عبد الكريم، و واخرون، المترجمون، صفحة 258). دمشق، سوريا: الاهالي للطباعة والنشر.

جرجي زيدان. (1922). *العرب قبل الاسلام* (المجلد 2). القاهرة، مصر: مطبعة الهلال.

جلين وارين بورسوك. (2006). *الانباط الولاية العربية الرومانية.* (امال محمد الروابي، المترجمون) القاهرة، مصر: المجلس الاعلى للثقافة.

جون هيلي. (1986). الانباط ومدائن صالح. *مجلة اطلال*(10)، صفحة 137.

جون هيلي. (1993). *نقوش المقابر النبطية في مدائن صالح.* (سليمان عبد الرحمن الذيب، المترجمون) اكسفورد، المملكة المتحدة: جامعة اكسفورد.

جيهان احمد عبدالله مياس. (2009). التنظيمات العسكرية في ممالك العرب الشمالية البتراء تدمر الحضر. *رسالة ماجستير غير منشورة*، 56. صنعاء، اليمن: جامعة صنعاء كلية الاداب.

حسن طوكان عبدالله. (2016). العلاقات النبطية الرومانية 70–106م. *مجلة ابحاث البصرة العلوم الانسانية*(1)، صفحة 170.

ديودورس الصقلي (ت30ق.م). (2017). *ديودورس الصقلي والجزرة العربية.* (احمد غانم، المترجمون) المملكة العربية السعودية: دار الملك عبد العزيز.

ديوكاسيوس (ت230م). (2017). *ديوكاسيوس والجزيرة العربية.* (عبدالله عبد الرحمن عبدالجبار، المحرر، و مجدي الكيلاني، المترجمون) الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الملك عبد العزيز.

رحاب صالح صافي. (2012). الولاية العربية في العصر الروماني من ترايان الى ديوقليسيان : دراسة تاريخية حضارية خلال الفترة 106–305م. *اطروحة دكتوراه غير منشورة*، 43. دمشق، سوريا: كلية الاداب والعلوم الانسانية / جامعة دمشق.

روبرت هيلند. (2010). *تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي الى صدر الاسلام 3200ق.م–630م.* (عدنان حسن، المترجمون) بيروت، لبنان.

رينيه ديسو. (1959). *العرب في سوريا قبل الاسلام*. (عبد الحميد الدواخلي، و محمد مصطفى زيادة، المترجمون) القاهرة، مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

زياد مهدي السلامين. (2013). *العلاقات النبطية الخارجية دراسة في المصادر التاريخية والشواهد الاثارية*. الرياض: الجمعية السعودية التاريخية.

زياد مهدي السلامين. (2013). *مسكوكات جديدة للوزير النبطي سلي*. الرياض، المملكة العربية السعودية: جامعة الملك سعود.

زياد مهدي السلامين. (2017). اعادة قراءة للنقش النبطي الموسوم (CIS II 964) من صحراء سيناء. *المجلة الاردنية للتاريخ والاثار*(1)، صفحة 44.

زيدون حمد المحيسن. (2011). *حضارة العرب قبل الاسلام*. عمان، الاردن: مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية.

سامي سعيد الأحمد. (1978). *تاريخ الرومان*. بغداد، العراق: مطبعة جامعة بغداد.

سترابون ت23م. (2017). *الجغرافيا* (المجلد 16). (حسان ميخائيل اسحاق، المترجمون) دمشق، سوريا: دار علاء الدين للنشر والتوزيع.

سلطان المعاني. (2010). *الهوية الحضارية ي النقوش العربية القديمة*. عمان، الاردن: منشورات وزارة الثقافة.

سلمى محمد هوسأوي. (2017). *تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم*. الرياض، المملكة العربية السعودية: دار جامعة الملك سعود للنشر.

سليمان عبد الرحمن الذيب. (2011). *التاريخ السياسي للانباط*. الرياض، المملكة العربية السعودية: الهيئة العامة للسياحة والاثار.

سيد احمد علي الناصري. (1991). *تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسي والحضاري* (المجلد 2). القاهرة، مصر: دار النهضة العربية.

شوقي شعث. (2004). مدن القوافل التجارية في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام. *مجلة التراث العربي*(96)، صفحة 20.

صبري كريم عبادي. (1996). ذكر حرب الانباط في النقوش الصفوية. *مجلة مؤتة للبحوث والدراسات*(2)، صفحة 240.

عبد الرحمن الانصاري، و حسين علي ابو الحسن. (2002). *العلا ومدائن صالح حضارة مدينتين*. الرياض، المملكة العربية السعودية: دار القوافل.

عبدالله الحلو. (1999). *صراع الممالك في التاريخ السوري القديم مابين العصر السومري وسقوط المملكة التدمرية*. بيروت، لبنان: بيسان للنشر والتوزيع.

عثمان فاضل عباس. (2024). مظاهر النظام السياسي الملكي في مملكة الانباط قبل الاسلام. *اداب الفراهيدي*(2).

عرفان شهيد. (2008). *روما والعرب*. (قاسم محمد سويدان، المترجمون) دمشق، سوريا: دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع.

عزام ابو الحمام. (2009). *الانباط تاريخ وحضارة*. عمان، الاردن: دار اسامة للنشر والتوزيع.

غازي محمد يوسف علولو. (1996). دراسة نقوش صفوية جديدة من وادي السواع جنوب سورية. *رسالة ماجستير غير منشورة*، 127. اليرموك، الاردن: جامعة اليرموك – معهد الاثار والانثروبولوجيا.

فتحية حسين عقاب. (2014). *العلاقات بين الانباط واليهود في ميزان الدولة الرومانية من أواخر القرن الثاني قبل الميلاد الى القرن الأول الميلادي*. الرياض، المملكة العربية السعودية: الهيئة العامة للسياحة والاثار.

فتحية حسين عقاب. (2015). اضاءة على تمرد دمسي / دمصي في الحجر / مدائن صالح في النقوش النبطية والصفوية. *مجلة الخليج للتاريخ والاثار*(10)، صفحة 183.

لانكستر هاردنج. (1965). *آثار الاردن*. (سليمان موسى، المترجمون) الاردن: اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر.

ماركيلليوس اميانوس (ت391م). (2017). *اميانوس ماركيلليوس والجزيرة العربية*. (عبدالله عبد الرحمن العبد الجبار، المحرر، و فايز يوسف، المترجمون) الرياض، المملكة العربية السعودية: دار الملك عبد العزيز الوطنية.

محمد اسماعيل النصرات. (2002). تاريخ الانباط السياسي. *رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية*. عمان، الاردن.

محمد سهيل طقوش. (2009). *تاريخ العرب قبل الاسلام*. بيروت، لبنان: دار النفائس.

محمود محمد الروسان. (2009). ذكر لصراع بين الانباط وقبيلة حويلة الثمودية في نقش صفوي. *مجلة جامعة الملك سعود*(2)، صفحة 153.

نعمان محمود جبران، و روضة سحيم حمد ال ثاني. (1998). *دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام*. اربد، الاردن: مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية.